قمة الثماني الكبار وإشكالية أهميتها

30-5-2003

غير أن وجهة النظر الأمريكية للعالم تغيرت منذ 11سبتمبر, 2001. فهو لم يعد عالم الفرص، وإنما هو عالم الخطر، ومنشأ الخطر هو العالم الإسلامي وهو خطر يجب أن يواجه عسكريا. وبما أن الإنتشار الجغرافي لدول G8 هو امتداد لعهد ولى وانقضى (في نظر واشنطن)، فإن أمريكا تحاول اليوم التركيز على خريطة جغرافية سياسية مغايرة

شكل انعقاد اجتماع الثمانية الكبار (G8) الحدث الدبلوماسي الأبرز لهذه السنة. وبالنسبة للجيل السابق، كانت القوى الرئيسية في السبعة الكبار(G7) تجتمع لإدارة العالم. والمدراء مثل اليابان وكندا، يشكلون قوى اقتصادية هامة، إلا أنهم ليسوا أطرافا عسكريين. غير أن العالم تغير واجتماع الدول الثمانية الكبرى فقد أهميته المحورية، وهذا لأن الكثير منها تمثل قوة اقتصادية وحسب.
من المزمع أن تنعقد القمة السنوية للثمانية الكبار بداية من غد، ومن المتوقع أن يحضرها زعماء فرنسا، بريطانيا، كندا، ألمانيا، إيطاليا، اليابان، روسيا والولايات المتحدة. وسيكون الإجتماع الأول لزعماء مجموعة الدول الثمانية الكبرى منذ الحرب على العراق، كما أن لقاء الرئيس بوش يعدَ الأول من نوعه مع الزعماء الثلاث المعارضين الرئيسيين للحرب: فرنسا، ألمانيا وروسيا. ومن جهة، سيكون الإجتماع اختبارا لنظام القوى العالمية لما بعد الحرب الباردة، في ما إذا ظل اجتماع G8 يحمل دلالات ومعاني عملية. فمن جانب، أشارت الولايات المتحدة إلى الأهمية النسبية للقمة لرسم الخطة العامة للقضايا الملحة. إذ سيغادر بوش مبكرا لحضور قمة في شرم الشيخ المصرية تجمع زعماء مصر، العربية السعودية وقطر، في الأول من يونيو. وفي اليوم الموالي، سيحضر اجتماعا حرجا يضم رئيس وزراء الكيان الإسرائيلي أريل شارون ورئيس الوزراء الفلسطيني محمود عباس. وفي 5 يونيو سيذهب إلى مقر سينتكوم (CENTCOM) في الدوحة بقطر، لإلتقاء القادة والقوات. قبل فترة وجيزة، شكلت اجتماعات مجموعة الدول الثمانية الكبرى النقطة المحورية في الدبلوماسية العالمية. وحاليا، لا يفضل الرئيس بوش المكث طويلا في الاجتماع، وليس واضحا ما إذا كانت هذه إهانة متعمدة، خاصة وأن اجتماعات "الشرق الأوسط" كان يمكن أن تُحدد بشكل مختلف، وعلى كل، يبدو أن الرئيس بوش يحاول فرض الأمر الواقع، بالتعاطي مع قضية تغير الأولويات الأمريكية كأمر طبيعي.

وقد شهدت جغرافية المخاوف الأمريكية تحولا بشكل مثير، فأثناء التسعينيات، كانت الرؤية الأمريكية تنطلق من أننا نعيش في عالم الفرص. وكانت مجموعة الدول السبع الكبرى جميعا ذات أهمية اقتصادية، حتى وإن بدا البعض تافها عسكريا. جغرافية العالم آنذاك ركزت على التنمية الإقتصادية، وقادت هذه الدول التنمية الإقتصادية. وتم إدراج روسيا في الاجتماعات الأصلية لمجموعة الدول السبع الكبرى مع بعض التردد، وبدا الاقتصاد الهش لروسيا استثناء من المجموعة، واعتُبرت الحدود والقوة العسكرية من مخلفات العالم القديم!.

غير أن وجهة النظر الأمريكية للعالم تغيرت منذ 11سبتمبر, 2001. فهو لم يعد عالم الفرص، وإنما هو عالم الخطر، ومنشأ الخطر هو العالم الإسلامي وهو خطر يجب أن يواجه عسكريا. وبما أن الإنتشار الجغرافي لدول G8 هو امتداد لعهد ولى وانقضى (في نظر واشنطن)، فإن أمريكا تحاول اليوم التركيز على خريطة جغرافية سياسية مغايرة. وهكذا، سيترك الرئيس بوش اجتماع الزعماء العالميين لقضاء ثلاثة أيام في المنطقة

العربية - مصر والأردن وقطر- للتعامل مع القضايا الجغرافية السياسية والعسكرية التي فرضها عالم ما بعد 11 سبتمبر.

وقد تطور الانشقاق ضمن G8، وما عاد يتضمن فقط المعارضة الروسية والألمانية والفرنسية للحرب على العراق، ولكن القضية أعمق بكثير. فدول الثمانية الكبار بالنسبة لإدارة بوش، تمثل جيلا يعتقد بأن القضايا الإقتصادية أخذت مكان كل القضايا الأخرى، فاليابان وكندا عضوان في G8 لأن أهميتهما كانت اقتصادية. ومن وجهة نظر إدارة بوش، فإن هذا الإعتقاد انتهت صلاحياته وبطل مفعوله في العالم، فهو لا يخاطب آمال الأمريكيين، فضلا عن مخاوفهم. فما يجب أن يقوله محمود عباس أبو مازن أو ولي العهد السعودي الأمير عبد الله، أكثر أهمية مما يجب أن يقوله أي من الكبار الثمانية في نظر الولايات المتحدة.

وحسب أحد المحللين الأمريكان (جورج فريدمان)، فإن : "هناك إحساس حقيقي لدى إدارة بوش، بأن القاعدة نجحت على الأقل في جزء من مهمتها، فوجهة نظر أسامة بن لادن ارتكزت على أن العالم الإسلامي لم يكن يُعامل باحترام منذ قرون من العالم النصراني، ولكنه الآن نجح في تغيير ذلك، إذ أن الرئيس الأمريكي عنده إحترام لآراء زعماء مصر أو إيران أو تركيا أكثر من زعماء فرنسا أو ألمانيا، وليس بسبب معارضتهم للحرب، إذ أن اليابان من ضمن هذه المجموعة وهي لم تعارض الحرب، وبالأحرى، فإن بوش يتعامل مع الأسلوب الذي من خلاله أعادت القاعدة تعريف العالم للولايات المتحدة"، وهذا يثير مشكلة خطيرة لـ G8.

إن العالم الآن يترنح وسط تباطأ إقتصادي بعد عقد من الدينامية الإقتصادية. هناك قضايا ملحة تفرض حضورها على جدول مناقشات الـ G8، وبشكل خاص ضعف الدولار، الذي يخدم الصادرات الأمريكية. وبحكم العادة والتقليد، يتوقع الأوربيون واليابانيون (كما كانوا دائما) على الأقل تعاونا من قيادة الولايات المتحدة حول هذه القضايا، وهو ما لن يحدث هذه المرة. إن أمريكا تنتهج سياساتها من غير قلق كبير للتأثير على الإقتصاد العالمي. إن عجزها الإقتصادي يُسير من طرف الحرب، والحرب أولويتها. ثم إن ضعف الدولار يعزز الصادرات الأمريكية، وهو ما يرضي الولايات المتحدة.
حتى 11سبتمبر، كانت أمريكا ترى نفسها كزعيم للإقتصاد العالمي. لكن اليوم لم تعد تنظر إلى العالم من الزاوية الإقتصادية. فهي أولا، ترى الجانب الإقتصادي أقل أهمية من القضايا الأخرى. وثانيا، الحرب على القاعدة "تُجبر" واشنطن لتبني سياسات اقتصادية تثير مشاكل للآخرين. ثالثا، تُحضر أمريكا للاستفادة من الضرر الإقتصادي الطويل المدى الذي لحق بالحلفاء، ومنه ضعف الدولار، الذي قد يتسبب في خراب الإقتصاد الألماني، الأمر الذي تعتبره الولايات المتحدة منفذا لعقاب ألمانيا!، حيث إن وجهة النظر الأمريكية قائمة على أن الأصدقاء والحلفاء لا يختلفون على الأمور الأساسية، والخلاف حول العراق – في نظر واشنطن- لم يكن من القضايا التي يجوز فيها تعدد الآراء!. وتعتبر روسيا الإستثناء الذي يؤكد القاعدة، إذ أن الإدارة الأمريكية ستواصل ترويض روسيا، لا لأنه قوة إقتصادية، ولكن بسبب الجغرافية السياسية. باعتبار أن روسيا تقاطع المصالح الأمريكية في العالم الإسلامي.

وفي الحقيقة، فإنه لم تعد لأمريكا أرض مشاعة في 2003، واهتماماتها تتجاوز إهتمامات ببقية الـ G8، وحاجاتها تختلف، ويختلف الأمر طبعا بالنسبة لبريطانيا. فالهوس الأمريكي ليس هوسهم، والكابوس الأمريكي ليس كابوسهم. لذا، فإن قرار بوش بمغادرة اجتماع الثمانية الكبار في وقت مبكر من انعقاده يمثل إلى حد ما تغييرا أساسيا في طبيعة العمل الأمريكي.

للعودة للأعلى